عروض الكتب والندوات

مصالح السياسة الخارجية الفرنسية في منطقة آسيا الوسطى

ترجمة : مروة أحمد عبد العليم
الهيئة العامة للاستعلامات

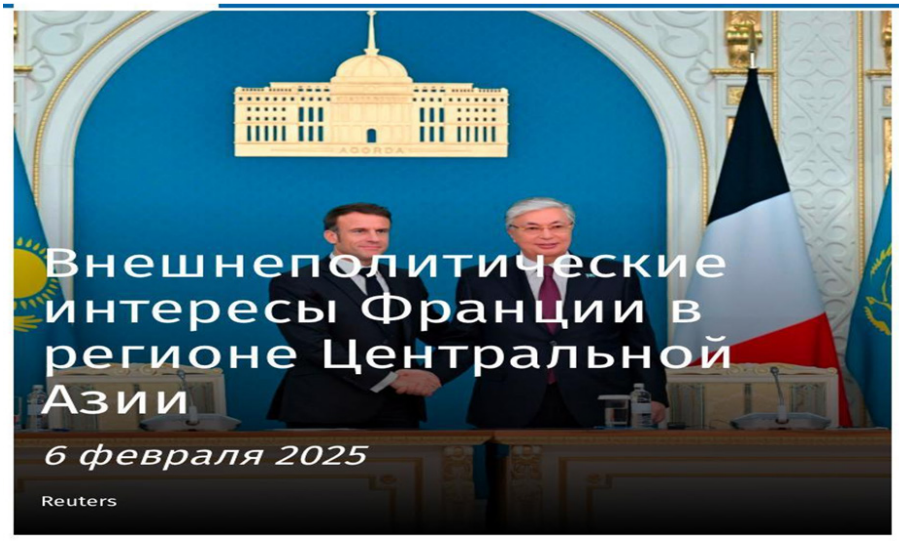

أسم التقرير: مصالح السياسة الخارجية الفرنسية في منطقة آسيا الوسطى

الناشـــــــر: المجلس الروسي للشؤون الدولية

المؤلـــــف: ألكسندر بانفيروف- طالب بكلية الاقتصاد العالمي والسياسة العالمية، المدرسة العليا للاقتصاد، الجامعة الوطنية للبحوثال

تاريـــــخ: 6 أكتوبر 2025

مقدمة:

لا تشكل آسيا الوسطى منطقة ذات أولوية بالنسبة للسياسة الخارجية الفرنسية، مثل منطقة البحر الأبيض المتوسط أو أفريقيا. وفي الوقت نفسه، تبدي باريس اهتماماً بدول المنطقة، وهو ما يتجلى في زيادة النشاط في هذا المجال في السنوات الأخيرة وكان الدليل على هذا الاهتمام المتزايد هو الزيارة التي قام بها ماكرون إلى كازاخستان وأوزبكستان في نوفمبر 2023.

هذا وتتعاون فرنسا بشكل رئيسي مع كازاخستان، حيث تتمتع العلاقات معها بوضع "الشراكة الاستراتيجية" منذ عام 2008، كما يشهد التعاون مع أوزبكستان أيضًا تطورًا نشطًا في الوقت الحالي: فقد اتفق زعيما البلدين على "رفع العلاقات إلى مستوى الشراكة الاستراتيجية" في عام 2023، بينما تُعد العلاقات مع الدول الأخرى في المنطقة أقل تطوراً إلى حد كبير.

فمن الناحية الديناميكية، يمكن تحديد ثلاث موجات رئيسية من "تحقيق" اهتمام السياسة الخارجية الفرنسية ببلدان منطقة آسيا الوسطى.

الموجة الأولى. بداية الحوار الثنائي

تشمل هذه الفترة النصف الأول من تسعينيات القرن العشرين، عندما اعترفت فرنسا (وهي من أوائل الدول في العالم) بالجمهوريات الجديدة، وأقامت معها علاقات دبلوماسية، وشكلت قاعدة تعاقدية للتعاون الثنائي وقد لعبت الزيارات المتبادلة لرؤساء الدول دوراً هاماً في هذا الصدد: ف. ميتران إلى كازاخستان وأوزبكستان وتركمانستان (1993، 1994)، وكذلك ن. نزاربايف (1992، 1994) وإسماعيل كريموف (1993) إلى باريس.

لقد كان اهتمام فرنسا بجمهوريات آسيا الوسطى في ذلك الوقت محددًا بعاملين: الرغبة في تقديم نفسها باعتبارها "فاعلًا عالميًا" في عالم ما بعد القطبية الناشئ، فضلاً عن الحاجة إلى مساعدة الشركات الوطنية في دخول أسواق جديدة.

الموجة الثانية: بدء الحوار العسكري السياسي مع دول المنطقة

جاء الحدث المهم الثاني في أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وهو مرتبط بمشاركة فرنسا في العمليات الأمريكية وحلف شمال الأطلسي في أفغانستان، حيث أدى وجود القوات المسلحة للجمهورية الخامسة في المنطقة إلى تكثيف التعاون العسكري السياسي بين باريس ودول المنطقة.

وقد أثر ذلك إلى حد كبير على العلاقات الفرنسية الطاجيكية، التي كانت قد تعقدت في السابق بسبب الحرب الأهلية في طاجيكستان، فضلاً عن مقتل مواطنين فرنسيين اثنين أثناء عملية احتجاز الرهائن في عام 1997 ومع بدء العملية في أفغانستان، عززت فرنسا وطاجيكستان تعاونهما الثنائي. وفي ديسمبر 2001، تم توقيع اتفاقية بشأن نشر القوات الجوية الفرنسية في مطار دوشانبي. وفي وقت لاحق، ساهم التعاون العسكري السياسي في تحفيز الحوار في مجالات أخرى أيضاً.

في أعقاب الزيارة الأولى التي أجراها أحمد رحمان إلى باريس في ديسمبر 2002، وقعت حكومتا البلدين اتفاقيات للتعاون في مجال الأمن الداخلي، وتشجيع وحماية الاستثمارات المتبادلة، فضلا عن التعاون في المجالات الثقافية والعلمية والتقنية وبالإضافة إلى ذلك، وقعت وزارتا دفاع البلدين أيضا اتفاقية تعاون، وتعهد الجانب الفرنسي بتحديث مطار دوشنبه، كما تم إغلاق القاعدة الجوية الفرنسية في البلاد في عام 2014، لكن المقاولين الفرنسيين واصلوا تنفيذ مشاريع تحديث المطار بعد ذلك التاريخ: في عام 2015، تم التوصل إلى اتفاق لبناء برج مراقبة في المطار، والذي افتتح في عام 2019.

وفي ديسمبر 2001، تم توقيع اتفاق مماثل مع قيرغيزستان، يسمح لفرنسا بإنشاء قوة جوية مساعدة في مطار ماناس. وبالإضافة إلى ذلك، كانت لدى فرنسا اتفاقية مع كازاخستان بشأن نقل المعدات والأفراد العسكريين ومع انسحاب القوات الفرنسية من أفغانستان، بدأ الحوار العسكري السياسي الفرنسي مع بلدان آسيا الوسطى يفقد أهميته، وأصبح التعاون الاقتصادي هو المحور الرئيسي للسياسة الفرنسية في المنطقة.

الموجة الثالثة: تكثيف التعاون في مجال الطاقة والمصالح الجيوسياسية

تتزامن هذه الفترة من الاهتمام الفرنسي المتزايد ببلدان المنطقة مع سنوات رئاسة ماكرون ومن السمات المميزة لهذه الفترة زيادة عدد اللقاءات الشخصية بين رؤساء الدول. وهكذا، في نوفمبر 2023، أصبح ماكرون أول رئيس فرنسي يزور عدة دول في المنطقة في وقت واحد منذ عام 1994 (قبل ذلك، زار الزعماء الفرنسيون كازاخستان فقط في عامي 2009 و2014) من ناحية أخرى، أصبحت باريس مكانًا لزيارات متكررة من قبل زعماء جميع دول آسيا الوسطى باستثناء تركمانستان: ش. ميرزيوييف (2022، 2018)، إ. رحمان (2021، 2019)، ك.-ج. توكاييف (2022، 2024) وس. جاباروف (2024، 2023).

ففي المرحلة الحالية، لدى فرنسا مجموعتان من المصالح الاستراتيجية التي تحدد سياستها في آسيا الوسطى: التعاون في مجال الطاقة والمصالح الجيوسياسية.

الطاقة والموارد

أولا، تتمتع دول آسيا الوسطى بأهمية خاصة بالنسبة لباريس بسبب رغبة هذه الأخيرة في ضمان أمنها في مجال الطاقة، حيث تمثل الطاقة النووية 72% من توليد الكهرباء في فرنسا، مما يجعل البلاد تعتمد على إمدادات اليورانيوم. وعلاوة على ذلك، أصبحت مسألة استقرار هذه الإمدادات ذات أهمية في الفترة 2023-2022، عندما واجهت فرنسا خطر فقدان اثنين من الموردين المهمين: روسيا والنيجر.

ومن ثم فإن تعميق التعاون في هذا المجال مع كازاخستان وأوزبكستان، الدولتين اللتين تحتلان المرتبتين الأولى والخامسة في إنتاج اليورانيوم في العالم، له أهمية استراتيجية بالنسبة لباريس وتقع على عاتق شركة أورانو الفرنسية المملوكة للدولة الدور الرئيسي في التعاون في هذا المجال وهي تمتلك 51% من الأسهم في مشاريع التعدين المشتركة لليورانيوم KATKO (مع كازاتومبروم) وNurikum للتعدين (مع شركة نافوييوران الأوزبكية).

علاوة على ذلك، فإن أحد المجالات المحتملة لمزيد من التعاون في مجال الطاقة النووية هو احتمال مشاركة فرنسا في بناء أول محطة للطاقة النووية في كازاخستان،

فى حين تعد شركة كهرباء فرنسا المملوكة للدولة واحدة من أربع شركات تقدمت بعطاءات لبناء المفاعلات، إلى جانب شركة روساتوم، والمؤسسة النووية الصينية، وشركة كيه إتش إن بي الكورية الجنوبية، ويُشار إلى أن هذه القضية أصبحت أحد المواضيع الرئيسية خلال المفاوضات بين القيادة الكازاخستانية وممثلي قوات الدفاع الأوروبية خلال زيارة الرئيس الفرنسي ماكرون إلى أستانا في عام 2023، وكذلك خلال زيارة ك.ج. توكاييف في باريس في 4 و5 نوفمبر 2024.

بالإضافة إلى احتياطيات اليورانيوم، تمتلك المنطقة أيضًا موارد طاقة قيمة أخرى وبذلك، أصبحت كازاخستان، وفقاً لنتائج عام 2022، ثاني مورد للنفط الخام إلى السوق الفرنسية (14% من إجمالي حجم الإمدادات)، بعد الولايات المتحدة (15%) وتعمل شركة النفط والغاز الفرنسية العملاقة TotalEnergie في المنطقة وتملك شركة تابعة لهذه الشركة حصة 16.81% في تطوير حقل كاشاجان، وحتى عام 2023 كانت شركة أخرى تملك حصة 60% في حقل دونجا.

وأخيرا، هناك إمكانية لتطوير التعاون في مجال الطاقة بين فرنسا ودول آسيا الوسطى في مجال الطاقة المتجددة. على سبيل المثال، تنفذ شركة TotalEnergies بالفعل عدداً من مشاريع طاقة الرياح والطاقة الشمسية في كازاخستان وأوزبكستان، فهناك أيضًا آفاق لتنفيذ مشاريع الطاقة الكهرومائية في قيرغيزستان – أعربت TotalEnergies وEDF عن اهتمامهما بمثل هذا التعاون خلال زيارة س. جاباروف إلى باريس في نوفمبر 2023 (بعد جولة ماكرون في آسيا الوسطى).

ومن بين مجالات التعاون الواعدة الأخرى المعادن الأرضية النادرة، التي يثير تطويرها وتوريدها اهتمام فرنسا في سياق "التحول الأخضر" (إنتاج مكونات مرافق الطاقة الخضراء، والبطاريات للسيارات الكهربائية، وما إلى ذلك)، فضلاً عن "الاستقلال الاستراتيجي" للاتحاد الأوروبي (تنويع الإمدادات) إن التعاون في هذا المجال لا يقل أهمية عن التعاون في قطاع الطاقة، ولكنه أصبح عنصرا مهما في الحوار الفرنسي الكازاخستاني في السنوات الأخيرة وقد تمت مناقشة هذه القضية في اجتماعات بين الرئيسين في عامي 2022 و2023، وكانت إحدى النتائج الرئيسية

لزيارة توكاييف الرسمية إلى باريس في عام 2024 توقيع "خارطة طريق" للشراكة الاستراتيجية بشأن الموارد الحيوية.

ناقل جيوسياسي

تسعى فرنسا أيضًا إلى تحقيق مصالحها الجيوسياسية في المنطقة وتهدف السياسة الفرنسية هنا إلى الحد من النفوذ الروسي والصيني، فضلاً عن تعزيز مواقفها. ومن الجدير بالذكر أن باريس فقدت نفوذها في منطقة الساحل لصالح روسيا في السنوات الأخيرة (1) وهكذا، فإن أنشطة فرنسا في آسيا الوسطى، التي تهدد مصالح موسكو في المنطقة المجاورة لها، قد تبدو بمثابة نوع من "الانتقام" لنشاط روسيا في أفريقيا.

وفي تعزيز مصالحها الجيوسياسية، بالإضافة إلى الأدوات الاقتصادية، تستخدم فرنسا بشكل نشط القوة الناعمة، من خلال ما يسمى بنظام "المشغلين" الخارجيين. ومن هنا، تعمل الوكالة الفرنسية للتنمية (AFD)، وهي الآلية الرئيسية لباريس لتقديم المساعدات الإنمائية، في المنطقة، ولدى الوكالة الفرنسية للتنمية حاليا اتفاقية تعاون مع أوزبكستان وتمول عدة مشاريع في البلاد بقيمة إجمالية تبلغ مليار يورو، كما بدأت الوكالة عملياتها في كازاخستان منذ أكتوبر 2024.

وفي مجال التعاون الثقافي، تلعب منظومة المعهد الفرنسي دوراً أساسياً وتتمثل أقسام هذا الهيكل في جميع بلدان المنطقة: المعهد الفرنسي في عشق آباد، والتحالف الفرنسي في أستانا، وألماتي، وشيمكنت، وبيشكيك، وطشقند، وخوجاند، بالإضافة إلى المركز الثقافي باكتريا في دوشانبي ويهدف هذا الهيكل إلى تعزيز اللغة والثقافة الفرنسية في الخارج.

وفي مجال التعاون العلمي، يحتل المعهد الفرنسي لدراسات آسيا الوسطى (IFEAC)، الذي تأسس في عام 1993 ويقع في بيشكيك، مكانة مهمة هنا، حيث يدعم المعهد العلماء الفرنسيين الذين يقومون بالأبحاث في المنطقة في مختلف المجالات الاجتماعية والإنسانية، كما يعزز تعاونهم مع زملائهم من دول المنطقة.

خاتمة:

باختصار، تطورت مصالح فرنسا في آسيا الوسطى مع مرور الوقت، ففي النصف الأول من تسعينيات القرن العشرين وكانت المهمة الرئيسية هي إقامة علاقات مع دول جديدة وإنشاء أساس للتعاون الثنائي منذ أوائل العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وأصبح الحوار العسكري والسياسي مع دول المنطقة يشكل أولوية بالنسبة لفرنسا بسبب مشاركة القوات المسلحة الفرنسية في العمليات في أفغانستان.

وفي الوقت الحالي، تسعى سياسة الجمهورية الخامسة في آسيا الوسطى إلى تحقيق هدف ضمان أمن الطاقة (من خلال إنشاء إمدادات مستقرة من اليورانيوم والهيدروكربونات)، فضلاً عن تعزيز الموقف الإقليمي لفرنسا في سياق المواجهة الجيوسياسية بين الغرب وروسيا والصين.

إن الأداة الرئيسية لتحقيق مصالح باريس هي نشاط الشركات الفرنسية الكبرى في المنطقة (شركات الطاقة في المقام الأول)، فضلاً عن مؤسسات القوة الناعمة المختلفة وهناك أيضًا إمكانية لتعميق أنشطة الوكالة الفرنسية للتنمية في المنطقة.

وأخيرا، فإن الشريك الرئيسي لفرنسا في آسيا الوسطى هو كازاخستان، كما يتكثف التعاون مع أوزبكستان تدريجيا ، وهذان البلدان هما الهدف الرئيسي للاهتمام بالنسبة للجمهورية الخامسة في المنطقة، أما العلاقات مع الجمهوريات الثلاث المتبقية في آسيا الوسطى فهي محدودة وتعتمد على الأوضاع الإقليمية والدولية .